يهودية تسيطر على العرب»(٨٣).

وجاءت الاحداث لاحقاً لتؤكد حقيقتين: الاولى تكتيك الصياغة الغامضة للوعد، بغية عدم اثارة حلفاء بريطانيا العرب وقت الحرب، وبذلك تمر خدعتها دون كبير ضجة؛ والثانية التحايل في التفسير خوفاً من العواقب، مع مماشاة سياسة تهويد فلسطين مرحلياً.

كما ثار الجدل بشأن العبارة المتعلقة بحماية الحقوق المدنية والدينية للفئات غير اليهودية. «ونصح تشرشل العرب بالتمسك بها لحماية كيانهم. وحولها نشأ ما عرف باسم تساوي الالتزامات، اي الالتزام بتشجيع الوطن القومي اليهودي والالتزام بحماية العرب»(٨٤).

ومن الواضح استحالة هذا التساوي. فانشاء الوطن القومي اليهودي هو التمهيد لقيام دولة اسرائيل، كما فهمه الصهيونيون، وعملوا على تحقيقه، بمساندة بريطانيا؛ وحماية العرب تعني الغاء وعد بلفور، وهذا غير وارد بريطانياً. ونستدل من تصريح تشرشل انه اراد اللعب على الالفاظ وذر الرماد في عيون العرب ليس الا. والظاهر ان بريطانيا كانت على تفاهم ضمني مع اليهود في تلك الفترة، بغية عدم اثارة السكان الفلسطينيين. فلقد ذهب سوكولوف الى ان عبارة «وطن قومي» لا تعني اقامة دولة(٨٥).

وتماشت السياسة البريطانية، والصهيونية، في اوائل العشرينات من هذا القرن، في اعتماد التضليل، بنفي الرغبة في اقامة دولة يهودية في فلسطين. فتارة تصدر تصاريح بريطانية بهذا المعنى، وتارة تصاريح صهيونية. كل ذلك على سبيل المكر والخداع. فالوعد، في حد ذاته، يحمل ازدواجية غير قابلة للتحقيق الا من جانب واحد، والجانب الذي ارادته بريطانيا هو الوطن القومي اليهودي الذي هو التمهيد لقيام الدولة اليهودية، وهذا ما جرى عند تطبيق الانتداب.

ملاحظات

يمكننا تسجيل العديد من الملاحظات حول هذا الوعد غير القانوني، والذي ان دل على شيء فانما يدل على أمرين: مطامع بريطانيا الامبريالية المتوافقة مع الحركة الصهيونية، والخداع والتمويه اللذان اعتمدا في النص والتطبيق.

ان الوعد ليس التزاماً دولياً. وهو مجرد عطف، وامنية، وتشجيع، من جانب واحد. ولم تكن فلسطين يوماً ما ارضاً بريطانية لتهبها لليهود. ولا كانت من املاكها عند اصدار الوعد المشؤوم قبل ان يحتل اللنبي القدس. فبريطانيا وعدت بما ليس لها فيه حق لمن ليس لهم حق. والوعد وجهه بلفور الى روتشيلد، وهو في ذلك يكون وجهه الى شخص يهودي عادي لم يكن ذا صفة دولية. من هنا، لا يمكن اعتبار الوعد وثيقة دولية، وعبارة «الوطن القومي» غامضة ولا تفيد بمعنى محدداً في القانون الدولي. وهذه العبارة اصطلاح اخترعه الصهيونيون للتضليل وتبنته بريطانيا؛ واليهود، بالتالي، ليسوا امةً لها خصائص الامم لتجعل منهم ذوي قومية واحدة. انهم ينتمون الى دين، ويعودون الى عروق مختلفة وليس لهم، بالتالي، تاريخ مديد متواصل في بلد من البلدان.

وفي الوعد اشتراط بعدم الحاق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية عند قيام الوطن القومي اليهودي، علماً بأن اليهود أقلية في فلسطين آنذاك، وقد جعل الوعد من الأقلية اصلاً، وكذلك تجاهل الواقع السكاني القومي، فأشار اليه بالطوائف غير اليهودية، وكأن هذه الطوائف ليست اصيلة، وليست شعباً مرتبطاً بأرضه وبقوميته وبتاريخه.